ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

مجلد: 12 عدد: 02 ديسمبر 2021

العنوان: مسألة التراث وإشكاليه القراءة (الخطاب الصوفي أنموذجا).

ص ص 756- 778.

مسألة التراث وإشكاليه القراءة (الخطاب الصوفي أنموذجا).

بولعراس جباري، هواري حمادي.

جامعة مصطفى اسطمبولي –معسكر-،

مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم – مستغانم-

djebar.boulaares@univ-mascara.dz

جامعة مصطفى اسطمبولي –معسكر-، houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 01/ 07/ 2020 ؛ تاريخ القبول: 18/ 05/ 2021

The Question of Heritage and Problematic Reading (Sufi Discourse as a Model)

Abstract: Our article deals with a philosophical topic related to Arab-Islamic thought and mysticism in particular, where it poses the problem of reading in heritage and in Sufi discourse as a large part of it has come to cope with many of the current challenges resulting from the secretions of globalization, technology and religious extremism. Discourse, Herminotica ... We wanted to analyze the problem of reading in heritage, specifically in the mystic discourse, by virtue of his escape from rationality and method and characterized by gratitude and conscience and language of inspiration that makes it difficult to apply the curriculum in it ... In the symbolic reading of Sufi discourse, but nonetheless emerged

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

other new approaches tried to provide a new vision reading Sufi discourse is what we referred to as another divergent represented in the physical reading of the Sufi discourse in the Marxist trend, one of the most important pioneers Hussein Marwa

Keywords : Heritage; Mystic Discourse; Reading; Herminotica; Method.

الملخص:

يعالج مقالنا موضوعا فلسفيا متعلقا بالفكر العربي الإسلامي وبالتصوف خاصة، حيث يطرح إشكالية القراءة في التراث وفي الخطاب الصوفي كجزء كبير منه حيث أصبح يواكب الكثير من التحديات الراهنة الناتجة عن إفرازات العولمة والتقنية والتطرف الديني، فبالعودة إلى البحث في مسألة التراث بين القطيعة والنقد، وبالاستئناس بمفاهيم: الخطاب، والهرمينوطيقا ...أردنا أن نحلل إشكالية القراءة في التراث وبالتحديد في الخطاب الصوفي، بحكم انفلاته من العقلانية والمنهج وتميزه بالعرفان والوجدان ولغة الإلهام التي تجعل من الصعب تطبيق المنهج فيه...وتعتبر الهرمينوطيقا بمثابة الرهان في قراءة رمزية الخطاب الصوفي ولكن رغم ذلك ظهرت مناهج جديدة أخرى حاولت أن تقدم رؤية جديدة لقراءة الخطاب الصوف وهي ما أشرنا إليها كمنعرج آخر تمثلت في القراءة المادية للخطاب الصوفي في التيار الماركسي ومن أهم رواده حسين مروة.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري

djebar.boulaares@univ-mascara.dz

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

مجلد: 12 عدد: 02 ديسمبر 2021 ص ص 756- 778.

العنوان: مسألة التراث وإشكاليه القراءة (الخطاب الصوفي أنموذجا).

الكلمات المفتاحية: التراث؛ الخطاب الصوفي؛ القراءة؛ الهرمينوطيقا؛ المنهج .

مقدمة:

يعتبر التراث هاجسا مركزيا للدراسات الفلسفية في الفكر العربي الإسلامي، حيث اهتم مختلف أساطين الفكر العربي بتحليله ونقده وتفكيكه ... بجوانبه المختلفة: فقه –أصول- علم الكلام –التصوف، هذا الأخير حظي باهتمام كبير في الدراسات الفلسفية التي تناولت الخطاب الصوفي بالعودة إلى التراث المحلي كرافد واسع وبالاستئناس بالمناهج الغربية كوافد أجنبي، حيث تعددت الأدوات والمناهج في مجال فهمه وقراءته، لعل أهمها الهرمينوطيقا التي كثيرا ما اعتبرت المنهج الأكثر هيمنة على فهم الخطاب الصوفي بحكم لغته الرمزية. لكن مع التطور الحاصل في المناهج، ومع تنوع التحديات الراهنة في عصر العولمة، تعددت المناهج وأصبحت إشكالية فهم التراث أكثر ثراءا وإثارة، وعلى وجه الخصوص في الخطاب الصوفي الذي يعبر عن نمط متميز من التراث، أثيرت فيه إشكالية القراءة منذ القديم، و لكن مع التطور الحاصل في الوقائع والمناهج في الوقت نفسه، أصبحت تطرح إمكانية تجاوز المنهج التأويلي إلى الرؤى التفكيكية والسميائية والمناهج الأخرى في قراءة التراث الصوفي، لعل أهمها المنهج المادي الماركسي الذي قدم رؤية خاصة للتراث والتصوف وهي ما نريد أثارتها في موضوعنا.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

في هذا الإطار يدور **إشكال** مقالنا حول مسألة قراءة التراث ممثلة في الخطاب الصوفي، يمكن صياغته على النحو التالي:

إذا كان الخطاب الصوفي يمثل جزءا كبيرا من التراث ، فهل يخضع للتأويل أو الهرمينوطيقا بالمفهوم المعاصر بحكم لغته الرمزية وخطابه العرفاني الوجداني أم يمكن اعتماد مناهج أخرى في قراءته تستطيع فهم لغته الرمزية وأهمها المنهج المادي الذي يحاول الانتقال من الرمز إلى الواقع؟

ويقوم مقالنا على مجموعة من الفرضيات والأفكار، التراث عامة كطرح بين القطيعة والنقد – إعادة القراءة–، الهرمينوطيقا رهان جوهري في قراءة التصوف، المنهج الماركسي بديل جديد للمنهج التأويلي في فهم الخطاب الصوفي.

من أجل معالجة هذه الإشكالية والفرضيات الملحقة بها استأنسنا بمنهج تحليلي ونقدي حسب المحطات التالية:

1- مسالة التراث بين القطيعة والنقد.

2- عسر القراءة في الخطاب الصوفي باعتباره يمثل حيزا هاما من التراث الديني.

3- القراءة الهرمينوطيقية للخطاب الصوفي، والمنعرج المادي الماركسي.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري

djebar.boulaares@univ-mascara.dz

في آخر المقال توصلنا إلى جمله من النتائج محورها إمكانية تجاوز المنهج التأويلي إلى المنهج المادي في فهم الخطاب الصوفي حسب تحديات الواقع السياسية والاجتماعية ولكن برؤية ابستمولوجية متحررة من الإيديولوجية وتشكل انطلاقة جديدة لأبحاث استشرافية مستقبلا.

1-التراث بين القطيعه والنقد:

تتعدد الرؤى في طرح هذه المسألة، فيما لاشك فيه أن الدارس للتراث كثيرا ما يعود إلى رؤيتين متقابلتين في التعامل مع التراث.

1-1**القطيعة**: تعتبر مفهوما جديدا دخل في حقل الدراسات التراثية يدل على رؤية جديدة تسعى إلى التحرر من التراث بالعودة إلى التراث ذاته بتحليله وشرحه وتشريحه كمنطلق لتجاوزه ... مثلها الكثير من رواد الفكر العربي المعاصر أهمهم المفكر عبد الله العروي، الذي يرى أن القطيعة مع التراث حل للأزمات وانبعاث جديد للواقع العربي المنتكس (عبد الله العروي، 1997: 12)، ويبرر القطيعه بعجز الفكر القديم عن استيعاب المفاهيم الجديدة التي لم تكن قد اكتملت في التراث أو الفكر الماضوي عن مسايرة العصر، وليس انبهار بالحداثة الغربية (عبد الله العروي، 1997: 12)، وإذ كان المفكر العربي قد ركز اهتمامه على القطيعه فان البديل الذي يقدمه أصطلح عليه بالمتاح للبشرية جمعاء، فإذا كان العقل التراثي غارقا في الخطاب الميتافيزيقي فان

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

العقل اليوم في حاجه إلى ما هو متاح للبشرية جمعاء وفي هذا المقام يقول عبد الله العروي أن العقل التراثي لا يقوى عن حل الأزمات المتسارعة، والمتغيرة إنه عقل ماضوي محصور بزمن معين لا يمكن أن يستوعب الراهن (عبد الله العروي، 1997: 12).

ويرجع 'عبد الله العروي' سبب الركود والتخلف إلى النزعة الماضوية التي استعادت التراث في قوالب جامدة دون تفكيك أو مراعاة عامل الزمن، فما هو صالح بالأمس قد يكون فاسدا اليوم، إن تجاهل مبدأ التقلب والتغير من طرف الفكر المتأثر بالسلفية هو ما أدى إلى الانتكاسة في الواقع العربي، ويرى صاحب كتاب الفكر الفلسفي في المغرب 'كمال عبد اللطيف' أن التأخر الذي يشهده العالم العربي هو في الأصل استحضار النص التراثي دون استفزاز العقل اتجاه النص لأجل انبعاثه من جديد، بل سبب الركود هو قبول المحنط من النص دون روح (كمال عبد اللطيف، 2003: 52)، وبهذا فان النص التراثي وجب بعثه من جديد من خلال النقد المعاصر، ولكن هذه النظرة في تجديد أو نقد التراث يرفضه المنطق الذي يفكر به عبد الله العروي حيث يدعو إلى القطيعة حتى مع من يعجب بالفكر التراثي لأنه تعود على فكر مؤدلج (عبد الله العروي، 1999: 91)، وقد تكون القطيعة مع التراث أخذت منعرجا آخر، وهذا ما نلمسه في خطابات الحداثة ونقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
ص ص 756- 778.

1-2**النقد**: إن تحليل الخطاب العربي المعاصر ومشروع النهضة، والثورة ما هو إلا نتاج العقل العربي الذي هو في حاجه إلى النقد لأن تبني الجمع بين منطق الإسلام والغرب في مشاريع النهضة ما هو إلا خطاب وعي مستلب، هذه المحاولة التوفيقية بين المنطق الليبرالي والإسلامي لم تبن على العقل بقدر ما هي خطابات نابعة من الوجدان، والحلم العربي في النهضة والتغيير والاستنجاد بالفكر الأوروبي المعاصر.

إننا لا نستطيع صناعه نهضة ما دمنا محكومين بفكر ثنائي متناقض -سلفي وأوروبي-، هذا العقل العربي المحكوم بسلطة النموذج السلفي والأوروبي عقل يقف في منتصف الطريق عاجز عن إصلاح الواقع الراهن، إن البديل الذي يقدمه محمد عابد الجابري هو تبني مفاهيم جديدة مستنبطه من قراءات متباينة ومناهج متعددة لإعادة صياغة العقل العربي (محمد عابد الجابري، 1994: 31)، ورغم تبني الجابري لمفاهيم عصرية فانه ينحاز إلى العودة إلى فكر تراثي محصور في العقلانية النقدية الرشدية والشاطبية والخلدونية، فهو منطق يعتمد على العقل وقادر أن ننقله إلى حاضرنا المعاصر.

إذا كان العقل العربي ازدحمت فيه مكونات معرفيه نابعة من التراث اللغوي الأصيل والأفكار الفارسية والتأثر بالعقل اليوناني، وحسب رأي محمد عابد الجابري فإنه يرى بأن العقل العربي مزيج من التراث الأصيل والدخيل الفارسي والحكمة اليونانية (محمد عابد

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

الجابري، 1994: 7)، وبهذا فان الثقافة العربية نابعة من منطق ثلاثي الأبعاد وهذا ما وضحه جورج طرابيشي بقوله العقل العربي منقسم إلى ثلاث: معقول عرفاني ميتافيزيقي، مقولات برهانية، ومقولات دينية (محمد عابد الجابري، 1995: 16)، وعلى هذا النحو فان العقل العربي يحوي العلم والعرفان والبرهان. إن الجابري وفق دراسة حفارية يرى فيه ما هو أصيل لغوي وديني وما هو تنجيمي دخيل وما هو رمزي أو واقعي.

إنه عقل يحوي أصناف الفكر البشري المتنوع، وعلى حد تعبير علي حرب إنه عقل مبدع وعميق نتيجة الرواسب المزدحمة فيه (علي حرب، 1996: 131)، والتراث في نظر الجابري ليس عطاءا ماضويا فحسب بل يدخل فيه العطاء الإنساني الأجمع والمشترك (محمد عابد الجابري، 1994: 16)، إن الجابري مقارنة بعبد الله العروي يدعو إلى قطيعة ابستمولوجية، لا قطيعة مطلقة فهو ينتقي من التراث المعرفي ما يصلح الواقع، إنه تجاوز النظرة التي ألغت التراث من حقل المعاصرة وآمنت بالوثوقية المطلقة اتجاه المناهج العقلية المتحررة.

ولعل مسالة التراث ومشروعيته في الحاضر والمستقبل لا تكمن في رفضه أو نقده أو تجديده بقدر ما يتعلق السؤال بإشكالية قراءته وبالمناهج المحللة للتراث.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

إن النظرة للخطاب الماضوي بالسلب أو الإيجاب يجب أن نتجاوزها إلى إخضاع هذا الخطاب إلى آليات القراءة المعاصرة حتى نرتقي به إلى مستوى الفهم والاستيعاب، ولعل التسلح بمعطيات المناهج الألسنية في تفكيك أو قراءة التراث وكذلك المناهج المادية يساعدنا في عملية تسويغ التراث واستدعائه في ثوب جديد يخدم الراهن. وقد تعددت المناهج في قراءة التراث وقد قصرنا النظر والاهتمام على الخطاب الصوفي الرمزي باعتباره جزءا هاما من التراث يكتنفه الغموض لأنه يتجاوز في معانيه حدود اللغة. هذا المجال اللامعقول من التراث تعود إشكالية قراءته إلى صعوبة فك الرمز، الذي هيمن عليه التأويل أو الهرمينوطيقا بالمصطلح المتداول في حقل قراءة التصوف، فلماذا الهرمينوطيقا والخطاب الصوفي؟

2-عسر القراءة في الخطاب الصوفي:

لاشك أن قصة اللقاء بين الهرمينوطيقا والخطاب الصوفي، تعود إلى طبيعة ذلك الخطاب الذي يعتبر أكثر الخطابات طرحا لإشكالية الرمز والقراءة، لذلك في بداية هذا العنصر سننطلق من أرضية مفاهيمية حول الخطاب الصوفي، فالخطاب هو الكلام المتبادل بين اثنين أو أكثر سواءا كان مكتوبا أو شفويا أو مرئيا (إبراهيم انيسو آخرون، 243)، كما أنه يعبر عن نمط من التواصل بين اثنين أو أكثر فإن كل رسالة بين متلقي ومرسل يحمل نشاط اتصالي أو ممارسة فعليه في التواصل تعبر عن

خطاب (عبد الستار جواد، 1998: 70). كما أنه يعبر عن كل كلام منظم في نسق بنائي محكم يعبر عن خطاب، ...و ﴿هو كل قول أو نص له نسيج بنائي ومنطقي﴾ (ميشال فوكو، 1987: 31)، كل منطوق أو مكتوب أو مرئي يراد به التأثير والإقناع يعبر عن خطاب، يقول تودورف (إذا كان في نية أو قصد الراوي الإقناع أو التأثير على المستمع أو المتلقي بفعل منطوق فإنه خطاب (تزفيطان تودورف، 1993: 48).

إستنادا إلى هذه التعريفات: الخطاب عملية وفعل تواصلي يحوي المرسل، الرسالة، المرسل إليه، وهو يشكل لغة تحمل مضمونا معينا قصد التأثير والإقناع، والخطاب الصوفي لا يخرج بدوره عن هذه المعايير، باعتباره ضرب من ضروب اللغة الرمزية العميقة ونشهد في التراث الصوفي إنتاج نصوص ذات دلالات رمزية وأساليب جمالية موجهة (آمنة بالعلى، 2002: 40).

إن اللغة في التجربة الصوفية مشبعة بمعاني رمزية حيث نجد لفظ الواحد يحتمل على أكثر من معنى، وداخل الكلمة تزدحم المعاني حيث يطلق على هذه الخاصية ظاهره التكثيف في الخطاب الصوفي.

وعلى هذا الأساس فان الرمز في الخطاب الصوفي له أبعاد دلالية متجددة عمد المهتمون بشرحه والإفاضة فيه (رجاء عبيد، 2003: 279)، إن تبرير استعمال الرمز داخل الخطاب الصوفي هو بحث المتصوفة عن لغة متسترة يتخاطبون بها تحفظوا أسرارهم وتجاربهم يقول

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

أبو القاسم عبد الكريم القشيري المتصوفة طائفة استعملوا ألفاظا ورموز محجوبة عن غيرهم حفظوا بها أسرارهم، إن الرمز هو الذي يستوعب اللغة السرية من جهه ويقوى على ترجمة الأذواق الروحانية من جانب أخر يقول فؤاد صالح السيد إن الرياضة الصوفية لم تجد لغة تترجم بها حالات الجذب والمشاهدة غير أسلوب الرمز، ولعل الحملة التي كانت ضد الصوفية من طرف الفقهاء وتكفيرهم جعلهم يلجؤون إلى الرمز تحصنا. هذه اللغة التي حجبت عن العوام والفقهاء جعلت القراءة في الخطابات الصوفية تبدو متعذرة أحيانا تتطلب تجاوز المفهوم السطحي، والتوغل في الدفين المغلق للغة، إن القارئ للخطاب الصوفي يشهد الغزل في أساليب وجدانية تخاطب الملأ الأعلى مما يجعل القارئ متشوقا لفك رموز التجربة الصوفية، وعلى القارئ أن يكون متسلحا بآليات القراءة وثراء الرصيد اللغوي، وإذا كان عسر القراءة في الخطاب الصوفي يكمن في رمزيته ولهذا فإن التأويل هو أيسر السبل لفك دلالات الرمز، والتأويل من حيث المفهوم كما ذكر صاحب لسان العرب هو نقل ظاهر اللفظ إلى باطنه وتأويل الكلام دبره.

وإذا كان التأويل احد المناهج المطبقة في قراءة الخطاب الصوفي الروحاني فما مشروعيته في قراءة الخطاب الصوفي العرفاني؟ ولماذا انتقل إلى منهج آخر قد يكون مقابلا له وهو المنهج الماركسي المادي الذي قد يتنافى وطبيعة التصوف الروحانية؟

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

3-مشروعية الهرمينوطيقا في قراءة الخطاب الصوفي والمنعرج المادي الماركسي:

إن الخطاب الصوفي خطاب روحاني يتجاوز العقل ولهذا كانت الهرمينوطيقا باعتبارها منهجا في قراءة الخطاب الصوفي ووجب أولا أن نقف على مفهومية الهرمينوطيقا والخطاب الصوفي.

إن الخطاب الصوفي خطاب روحاني، لا يصدر عن الملكة العاقلة بل يتجاوز المعقول إلى استنطاق أعماق الروح من خلال المجاهدة والفناء (سفيان زدادقة، 2008: 91)، ثم التعبير عن هذه التجربة باللغة الرمزية تستوعب العالم الروحي الخفي، والمعرفة الناتجة عن طريق مداومة الذكر والصيام والزهد والعزوف عن الملذات الجسدية هي معرفهة الهامية تخلو من البرهان ولا تخضع لمنطق العقل (سفيان زدادقة، 2008: 91)، وهذه المعرفة اللدونية تمتاز باليقين، والوضوح، والمطلقة يقول عبد الرحمن ابن خلدون: المعرفة الصوفية ملهمة وعفوية تسموا عن المعارف المتولدة عن طريق العقل أو الحواس (سفيان زدادقة، 2008: 91)، إن الصفاء العقلي من خلال إفراغه من الدنيا وأعماره بالاستغفار والإنابة والذكر يكسب المتصوف خطاب ايحائي بليغ محركا للإشارة والرمز والصوفي الذي صفا قلبه لله يمتلك هذه الرمزية تجاه الذات والكون والله (سفيان زدادقة، 2008: 150)، يرقى إلى معرفة تنكشف

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

فيها حجب الغيب كرامة لأولياء الله ولا يجدون إلا الرمز والإشارة سبيل في خطاباتهم .

إن الخطاب الصوفي يبنى على ركائز وهي المعنى والمقصدية (محمد مفتاح، 2006: 130)، حيث يكون فك النص خاضع للمعجم المصطلحات الصوفية وكيفية استعماله، والكتابة مثلا في النصوص الشعرية الصوفية التي تتصف بالغزل والعشق تجاه الملأ الأعلى عادة ما تستند إلى الركائز السابقة (محمد مفتاح، 2006: 140)، ولما كان الحديث عن الحب الإلهي لم ينفذ إلى الأوساط الاجتماعية بسبب سيطرة الفكر الفقهي على المجتمع العربي الإسلامي على حسب رأي اودونيس (اودونيس، 1986: 30)، وبهذا تأزم الخطاب الصوفي يقول سحر سامي: إن السلطة السياسية والفقهية هي التي منعت الخطاب الصوفي من الانتشار لأنه كان معارضا لمنافع الفقهاء والساسة واديولوجياتهم (سحر سامي، 2005: 54)، والجديد الذي يقدمه المتصوفة يحمل طرحا مغايرا لدين المألوف، وبهذا شكل فلسفة رمزية مبدعة تجاه الكون والنظرة إلى الذات وفكرة الخلق احتوت على رؤى مغايرة للمتوارث الهش، فكان بمثابة ثورة على المعارف المتداولة (أمين يوسف عودة، 2008: 84)، إن الثورة على المألوف تتطلب إبداع نسيج رمزي يجسد المعاني الغيبية وهذا مما جعل الخطاب حقلا خاضعا للتأويل وبالأحرى للمنهج الهرمينوطيقي.

أ. النصوص الرمزية والهرمينوطيقا

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

إن النص يجعلنا ننفتح على عوالم متعددة، ومتجددة في كل قراءة، فالنص له عالم خاص يتميز عن عالم الحياة الذي نعيشه، إنه ينقلنا من الوجود إلى إمكان الوجود، وهذا الطرح نجده في فلسفة (بول ريكور)، حيث اعتبر الهرمينوطيقا هي السبيل الذي يجعلنا ننفتح على عالم النص لنحيا.

إنه التأويل الخلاق الذي يكشف أسرار الرمز في النصوص حتى نتمكن من فهم الذات والكائنات، إذن العمل الهرمينوطيقي ينطلق من الذات إلى النص، ويعيد تشكيل الذات من خلال النص، يقول بارة: (إن النص يساعد الذات على تحقيق كينونتها بعد أن تلقي ذاتها في عالم النص) (عبد الغني بارة، 2008: 350).

وإذا كان الخطاب الصوفي هو خطاب ونسق لغوي مؤطر في نصوص بفعل الكتابة، فإن فهمه يتطلب تأويلا، حتى تقف الذات على أفق الرمز وظروف كتابته النفسية والاجتماعية من خلال القراءات المتعددة التي يخضع لها النص، يقول بارة: (وبهذا نستنطق النص بفعل التأويل) (عبد الغني بارة، 2008: 352).

إن التأويل بهذا المعنى، يجعلنا نكتشف العالم الذي ينتمي إليه النص، ونظرية التأويل لدى بول ريكور يشترط فيها الفهم والتفسير، حيث أن الفهم يمثل القراءة والتفسير يمثل استقلال القراءة (وبعبارة أدق واقع النص ومعناه) (بول ريكور، 2003: 118).

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

إن هذه الجدلية بين واقعية النص والبحث عن معناه تتحدد في العملية التأويلية، من خلال ثنائية الفهم والتفسير، ومع (دلتاي) نجد العلاقة قد أخذت منحى مغايرا، إنّها ثنائية الشرح والتأويل، حيث نجد الشرح يمكننا من الوقوف على ظاهر النص، ونجد التأويل ينقل الذات إلى باطن النص، وهنا تتجلى مستويات الفهم.

إن المقصود بمستويات الفهم هو قبول المعاني المقصودة للنص الواحد الذي يتطلب تفسيرات لا نهائية بسبب احتمالية العبارة الرمزية لتعدد المعنى، إن القارئ قد يشعر بالاغتراب في تعامله مع النص الرمزي ولا ينفك عن غربته إلا إذا تسلح بالتأويل فيحصل الانسجام بين الذات والنص، إنّه الفهم المتولد من القراءة الابستمولوجية للنص الرمزي، وربما هذا يقودنا إلى استلهام فكرة مناهج النقد المعاصر في التعامل مع التراث الرمزي مستمدة من منهج الهرمينوطيقا آليات القراءة الموضوعية للنص.

ب. آليات القراءة التأويلية للخطاب الصوفي

إن التمكن من قراءة الخطاب الصوفي بصورة موضوعية مثل فهم الشعر في الأدب الصوفي الذي كثيرا ما يهيم في عالم الخيال ليعانق الحقائق والمشاهد العليا.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

فالقارئ لمثل هذه القصائد لا يجد ملاذا ومخرجا لفهم هذا النوع من النصوص إلا بالتسلح بالمنهج الهرمينوطيقي، الذي حدده الفلاسفة من خلال القواعد الآتية:

الفهم المجدد للنص من خلال (الخطاب المكتوب الذي يخرج النص من طبيعته الشفاهية إلى حقيقته الأنطولوجية) (هيوسيلفرمان، 2002 :52).

إن الكتابة لدى بول ريكور هي تجسيد النص وإخراجه من القوة إلى الفعل وبهذا يصبح التحاور وسبل التواصل ممكنة بين المؤلف والقارئ.

التفسير التأملي للنص الذي يغوص قي أعماق النص من خلال فعل القراءة العميقة، فإذا كان المؤلف يعد أمرا ملحا في فهم النص فإن التأمل في النص يسمح بإعطاء حريات مفتوحة لفهم النص، وهذا ما حاول سيلفرمان إبرازه.

إن الانغماس في بنية النص من خلال التأمل في لغته ورموزه يجعل المتلقي بمثابة المؤلف الجديد وبهذا فإن الهرمينوطيقا تسلب السلطة من المؤلف وتحولها إلى القارئ من أجل خلق معاني وتوليدها من الرموز المكثفة التي تحوي ما لا حصر له من هذه المعاني (فكشف الدفين المغلق للرموز لن يتأتى إلا بالفهم والتفسير التأملي وإعادة بناء

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
مجلد: 12 عدد: 02 ديسمبر 2021
العنوان: مسألة التراث وإشكاليه القراءة (الخطاب الصوفي أنموذجا).
ص ص 756- 778.

النص هذه القاعدة الثلاثية هي محاولة في تأسيس النص الجديد) (بول ريكور، 2006: 08).

وهذه القواعد الثلاث تحدد لنا العمل الهرمينوطيقي في التعامل مع الخطاب الرمزي حيث أن الفهم يمكننا من معرفة الظروف التي كتب فيها النص، إنها مرتبطة بالمؤلف، في حين التفسير يرتقي بنا إلى حل الشبكة النسيجية للنص، ومن ثمة إعادة بناء النص ضمن كتابة جديدة وهكذا يتم التواصل بين الأجيال في فعل القراءة، وعلى هذا النحو فإن الخطاب الصوفي يمكن قراءته بمنهج تأويلي هرمينوطيقي. إن هذا المنهج الأخير يساعدنا في إثراء الخطاب الصوفي من تحليل وخلق معان جديدة؛ لأن الرمز ما هو إلا لفظ ممتلئ ومكثف في حاجة إلى الانتشار ولن يتأتى ذلك إلا بالمنهج الهرمينوطيقي.

في آخر هذا العنصر يتبين لنا أنّ المنهج الهرمينوطيقي يبلور لنا رؤية جديدة تدمج النصوص القديمة مع فهم حاضر متحرر ويفتح آفاقا متعددة في فهم الخطاب الصوفي، ويحاول إخراج كل مضامينه، كما أنه يعبر عن تحرر الفكر في التعامل مع النصوص، ورصد كل احتمالات الفهم، إلا أنه أحيانا يخرج عن قصد المؤلف ويحمل النص ما لا يحتمل وعلى حد تعبير بول ريكور: التأويل أحيانا يوقعنا في اللامعنى.

ج- من القراءة الهرمينوطيقيه إلى المنعرج الماركسي:

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

إذا كان التأويل يوقعنا أحيانا في اللامعنى فان بعض الدراسات لظاهرة التصوف ترى بأنه خطاب ايديولوجي يقول حسين مروه: ارتبط التصوف بالتغيير الايديولوجي وليس باعتباره ظاهره روحيه تثري الرسالة النبوية (حسين مروة، 1988: 219)، انتقد مروه جل المناهج السابقة في دراسة التصوف حيث يراها بأنها عاجزة عن معرفة الظاهرة حين اعتبرتها بأنها عيش للمعراج النبوي عن طريق الاستبطان. إن التصوف تجربه وانجاز شخصي لعيش الوحي النبوي والحقيقة وتجاوز النص الظاهري (حسين مروة، 1988: 211)، من هنا كان التصوف قضيه تناقض الإسلام الظاهري والرسمي. والمعرفة لدى الصوفية لا تأخذ من الشريعة بل من الاتصال بالله مباشره عن طريق الوجد (حسين مروة، 1988: 218)، نلمس هنا القضية ونقيضها في معرفة الوحي الظاهري في مقابل الإلهام والاستبطان إنها بالأحرى ثنائيه الشريعة والحقيقة، الظاهر والباطن، الظاهر للعامة والباطن لأهل الله وخاصته، ولهذا عمل الصوفية على تأويل الظاهر لكشف أسرار الباطن، ولقد اعتبر جعفر الصادق أن القران الكريم له أربع عبارات الظاهر للعوام والباطن والإشارات للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء (خليل احمد خليل، 1981: 64).

وإذا كان مروة يعتبر التصوف موقف معرفي وبين النزعة المادية للمتصوفة عبر قولهم بالظاهر والباطن والتأويل فهي فلسفة قوامها العقل والمنطق، وهي موقف اديولوجي، والمعرفة الباطنية لها جذور أفلاطونية

يقول ناجي التكريتي أفلاطون يرى بان المعرفة التي تأتي عن طريق الكشف لا يجب أن تنقل للجميع هذا في محاورة فيدون، وقد التمس مروة نزعات ماديه في فكر الصوفية من خلال قولهم بعدم فناء الدنيا ومن تصورات ماديه للجنة والنار (حسين مروة، 1988: 124)، وهو تصور حسب مروة مشوه يعكس الواقع الاجتماعي والفكري، ورغم نقد مروة للتصوف حيث يراها بأنها نزعة إيديولوجية سلبيه إلا أن الثورة التي أحدثتها الحركة الصوفية حول إلغاء الوساطة بين الإنسان والله كانت شريعة قويه لا زالت قائمه ومستمرة لحد اليوم.

الخاتمة:

في ختام هذا المقال نصل إلى أن إشكالية قراءة التراث معين لا ينضب تتعدد الرؤى فيه، أهمها: الرؤية النقدية التي تسعى إلى تطبيق أدوات القراءة المعاصرة في فهم الخطابات وعلى رأسها الخطاب الصوفي، الذي بدوره لا يقوم فهمه على المنهج التأويلي فحسب بل يمكن تجاوز ذلك إلى مناهج أخرى وعلى رأسها المنهج المادي الماركسي، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

1- مسالة التراث بحث قديم متجدد وقد تداعى بصفه أكثر ضمن الأحداث المتسارعة التي يشدها الواقع العربي مثل النهضة والعولمة والاقتصاد واستشراف المستقبل.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري

djebar.boulaares@univ-mascara.dz

2- البحث التراثي تعددت فيه الرؤى من رافض وناقد ومنتقد ومجدد.

3- الخطاب الصوفي يمثل حيزا هاما من التراث العربي الإسلامي المبدع والمتجاوز لحدود العقل.

4- عسر القراءة في الخطاب الصوفي ناجمة عن الكتابه الرمزية التي شكلت نصوص فنية غارقة في الإلهام والتجريد.

5- رمزيه الخطاب الصوفي مبرراتها ليست روحانية فقط بقدر ما هي واقعية وتاريخية ارتبطت بالضغوطات السياسية والفقهية التي تعرض إليها المتصوفة لأنها خطاب موجه ضد مصالح الساسة وإيديولوجية الفقهاء.

6- رمزية الخطاب الصوفي والجمالي الملهم المتشوق للملأ الأعلى يتجاوز فهم العوام ولهذا كان التواصل بالرمز حفظا للأسرار.

7- إذا كان التراث الصوفي مشبعا بالرمز فان المنهج الهرمينوطيقي هو الأنسب لفك غموض الرمز وسر الخطاب.

8- القراءة التأويلية أحيانا توقيعنا في اللامعنى إذا لم يكن الباحث مسلحا باليات المنهج وفهم المصطلحات.

9- القراءات المادية الماركسية للتراث كانت ضمن تداعيات إخضاع التراث للمناهج المعاصرة، لعبت دورا كبيرا في كشف القناع وفك أسرار

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

الكثير من أسرار الخطاب الصوفي بربطه بالتاريخ والواقع، لكنها في نظر الكثيرين عبرت عن إيديولوجية جديدة .

المراجع:

1. اودونيس، (1986). **الثابت والمتحول**، ط5. بيروت: دار الفكر.
2. بالعلى آمنة، (2002). **تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة**، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.
3. بول ريكور، (2003). **نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى**، ترجمة سعيد الغانمي، ط1. المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء.
4. بول ريكور، (2006). **الزمان والسرد**، ترجمة فلاح رحيم، راجعه جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت لبنان.
5. تزفيطان تودورف، (1993). **اللغة والأدب في الخطاب الأدبي**، بيروت: المركز الثقافي العربي.
6. الجابري محمد عابد، (1994). **الخطاب العربي المعاصر**، ط6. الدار البيضاء: مركز دراسات الوحدة العربية.
7. الجابري محمد عابد، (1994). **تكوين العقل العربي**، ط6. الدار البيضاء: مركز دراسات الوحدة العربية.
8. الجابري محمد عابد، (1995). **نحن والتراث**، ط6. الدار البيضاء: مركز دراسات الوحدة العربية.
9. جواد عبد الستار، (1998). **اللغة الإعلامية دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها**، عمان: منشورات دار الهلال للترجمة.
10. حرب علي، (1996). **خطاب الهوية**، بيروت: دار الكنوز الأدبية.
11. خليل احمد خليل، (1981). **مستقبل الفلسفة العربية**، بيروت: المؤسسة

المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

12. زدادقة سفيان، (2008). **الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند اوديونيس مرحلة وممارسة**، الجزائر: منشورات الاختلاف.

13. سحر سامي، (2005). **شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

14. عبد الغني بارة، (2008). **الهرمينوطيقا والفلسفة**، ط1. منشورات الإختلاف: الجزائر.

15. عبيد رجاء، (2003). **لغة الشعر قراءات في الشعر العربي المعاصر**، الإسكندرية: منشأة المعارف.

16. العروي عبد الله، (1997). **مفهوم العقل**، ط2. بيروت: المركز الثقافي العربي.

17. العروي عبد الله، (1999). **الايديولوجيا العربية المعاصرة**، ط2. بيروت: المركز الثقافي العربي.

18. عودة أمين يوسف، (2008). **تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية**، الأردن: عالم الكتب الحديثة.

19. القشيري أبو القاسم عبد الكريم، (د ط)، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تحقيق احمد عيناية ومحمد الاسكندراني، لبنان: دار الكتب العلمية.

20. كمال عبد اللطيف، (2003). **الفكر الفسلفي في المغرب**، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

21. مروة حسين، (1988). **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**، ط6. بيروت: دار الفرابي.

22. مفتاح محمد، (2006). **دينامية النص**، ط3. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

المؤلف المراسل: بولعراس جباري

djebar.boulaares@univ-mascara.dz

23. **ميشال فوكو**، (1987). **حفريات المعرفة**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

24. هيوسيلفرمان، (2002). **نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيكية**، ترجمة على حاكم صالح وحسن ناظم، ط1. المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء.





المؤلف المراسل: بولعراس جباري
djebar.boulaares@univ-mascara.dz